مدوّنة تُعنى بنشر الكتابات التخصصيّة لبراعة الحوزة العلميّة الشريفة

المجالس الحسينية
في مظاعن أهالي النويدرات

بقلم:

الأستاذ يوسف مَدن

مقدمة:

الرَّحْل والتنقل في أرض الله "ظاهرة طبيعية استهدفت البحث عن راحة الإنسان وتحقيق منافعه ، وتحسين ظروف المعيشة، وكان حراكًا سكَّانيًا مألوفًا يحدث أينما يكون الإنسان من أجل تأمين فرص تحسين واقع جديد في حياته، ويعرف في ثقافتنا العربية، والمحليَّة بـ"الظعن والمظعن، والرحل المؤقت"، و(السفرة القصيرة[1]) كما قال ابن منظور، وعرفت قرى البحرين هذه الحالة الاجتماعية في أشهر الصيف قبل زماننا لتخفيف درجات الحرارة القاسية، وانسحب هذا الحال على أهالي النويدرات بظعنهم للريف المحيط بهم في أرياف (بربورة وسند، وشباثى، وأراضي النويدرات نفسها) كما ذكر جمعٌ من المؤرخين والجغرافيين مثل لوريمر، والشيخ (محمد علي التاجر[2]) ، و(الشيخ إبراهيم المبارك[3]) وآخرون.

***

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣١، ص ٢٧٤٨.
[2] التاجر، محمد علي، عقد اللآل في تاريخ أوال، ص ٣٢.
[3] المبارك، إبراهيم بن ناصر، حاضر البحرين ص ٣٩، ٥٠، ٥١.

***

معنى المظعن.

ونتوقف عند معنييه كما يأتي:

أ- المعنى اللغوي للمظعن.

تكاد تتفق بعض مصادر اللغة على معنى شبه موحد لكلمة "المظعن"، وجمعها (مظاعن)، فالكلمة تعني المسير والرحيل والارتحال والتنقل من مكان لآخر والسفرة القصيرة لتحقيق المطالب المعيشية للإنسان، وتوفيرها في حركة الحياة، والاستراحة فيه[1])، وقول صاحب الرائد: "**ظعن البدوي عن دياره" أي سار عن سكنه، وارتحل وانتقل من مكان إلى مكان ليستريح فيه**[2]"، وقال ابن منظور: "ظَعْنَ، ظَعَنَ، يظعنُ ظعنًا، وظعنًا بالتحريك، وظعونًا: ذهب وسارَ، وَقُرِئَ قوله

[1] انظر ما قاله الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ص ١٧٠، الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية، باب حرف الظاء، ص ٧١٨، والقاموس المحيط وغيره.

[2] جبران مسعود، معجم رائد الطلاب، باب الظاء، ص ٦١٣.

تعالى: "يوم ظعنكم"، وأظعنَه هو (سيَّره)، والظعْنُ: تحوَّل من ماء إلى ماء، أو من بلد إلى بلد، وقد يقال لكل شاخص لسفر في حج أو غزو أو مسير من مدينة إلى أخْرى (ظاعن)، ويقال :" **أظاعنٌ أنتَ أم مُقِيْم؟**[١]".

ب – المعنى الاصطلاحي للمظعن.

تطابق مفهومه الاصطلاحي معناه اللغوي، فالمظعن مسكن الإنسان المؤقت في (ترحاله) حتى يعود إلى بيت إقامته الدائم، وقد عرفته الحياة الريفية في قرى كثيرة كالنويدرات، وبربورة، وسند، والمعامير، إذ انتقلوا من مساكنهم الثابتة طوال السنة إلى أماكن عملهم في المزارع، والسكن فيها كسكن ومظاعن مؤقتة للظاعنين من أهالي هذه القرى وغيرها من بلدات البحرين، وقد شهدنا حالات ظعن مقصودة من هذه البلدات في أشهر الصيف الحار.

وقد يسمى هذا الارتحال المؤقت في ثقافتهم المحليَّة بمجتمعهم النويدري بـ"الحُوَّال" أحيانًا، فهو لفظ يُعبِّر عن حركة تنقل وسفر مؤقت وقصير عن بيوتهم الدائمة، وجَاء في دراسة جمع من الباحثين عن (قريتهم النويدرات) أنَّ: "المظعن هو المكان الذي تنتقل إليه بعض العوائل في القرية لقضاء فصل الصيف، وعادة ما يكون المظعن في منطقة مجاورة لسيحات النخيل وفيها مجاري مياه، وتُبْنَى بيوت المظاعن من السعف على هيئة عريش يسمح بدخول الهواء[٢]"، ومن أهم مظاعن أهالي النويدرات: (مظْعن الساب، وأم المشوي والريحانية والقرمط، ونايل[٣])، والجبلة والبدايع قريبًا من سند كبديعة الشيخ حسن، وغيرها.

***

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣١، ص ٢٧٤٨.
[٢] مجموعة مؤلفين، قرية النويدرات بين الماضي والحاضر، ص ٥٠.
[٣] جمع من المؤلفين، مصدر سابق، قرية النويدرات بين الماضي والحاضر، ص ٥١.

(مآتمهم، وإقامة مجالس العزاء والرثاء الحسيني في المظعن).

وبعد انتقال الأهالي إلى أماكن ظعنهم ورحلهم، واستقرارهم يقومون كما كانوا في داخل قريتهم بممارسة حياتهم اليومية المعتادة، ومزاولة أنشطتهم المألوفة، فيشتغلون بأداء أنشطتهم والأعمال المختلفة التي يؤديها القادرون من الظاعنين رجالاً ونساءً سواء عمل جماعي أو فردي في سائر أيامهم كما كانوا قبل الظعن، ومن أعمالهم الذهاب للبحر مشيًا على الأقدام أو باستخدام "الحمير" لصيد السمك، والفلاحة بمزارعهم، وصناعة السلال والحصر وغيرها من منتجات النخلة، وصناعة المديد، وقطع مادة الأسل[1]، وتجفيفه لاستخدامه في صناعة المديد، وهم في مظاعنهم.

وتعتبر النويدرات وتوبلي وسلماباد من أشهر المناطق التي عرفت بوفرة الأسل، ويجلب الأسل من هذه القرى ليتم تصنيعه تحت أيدي صنّاع مهرة ينتشرون في أغلب قرى البحرين[2]"، ومن القرى التي امتهن أهلها صناعته (النويدرات والخارجية بجزيرة سترة[3]، وتوبلي) وغيرها، وتعوَّد البحرانيون في مظاعنهم المؤقتة عملهم بأنشطة مختلفة (معيشية وروحية، واجتماعية) وغيرها في حياتهم بالمظاعن، فكانوا يقيمون أنشطتهم الروحية والثقافية كإقامة العزاء في مآتمهم على أهل البيت (ع) والرثاء على الحسين، وما صاحبه من بروز علاقات قوية وهادفة لتحقيق مقاصدهم وأغراضهم المعيشية، وتخفيف حرارة القيظ، وضمان بناء علاقات إيجابية لتقوية التراحم، وتنمية

---

[1] "نبات الأسل" يصنع منه المديد، وهو نبات اشتهرت به البحرين، وهو نبات ينمو بشكل طبيعي، ولونه يميل إلى الاصفرار، ويصل طوله إلى ثلاثة أقدام تقريبًا، أنظر كتاب (الحرف والصناعات الشعبية في البحرين)، وزارة الإعلام ص ١١٩ – ١٢٠.

[2] وزارة الإعلام، مصدر سابق، ص ١١٩ / ١٢٠.

[3] أنظر أنوار البدرين للشيخ علي بن حسن البلادي، ترجمة الشيخ عبد الله الستري، ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

إحساسات الأخوة الاجتماعية والإيمانية بينهم أفرادًا وجماعات، وأنشطة الترويح الخاص بخاصة فترات العصر، وأول الليل فيما يسمونه بـ(العَتَمَات).

ومن أنشطتهم الروحية والثقافية.. مثل:

١- **إقامة مساجد بالسيحات الزراعية في أماكن الظعن**.

اضطر الظاعنون من أهالي النويدرات وغيرهم في أماكن الظعن إلى بناء (مساجد) من سعف النخيل، واتخاذها لأداء صلواتهم في مساكن الظعن، وكان من غاياتهم كذلك مساعدة المارة على مناطق الظعن تشجيعهم بإقامة و أداء الصلاة والاستراحة، وكما سمعنا من كبار السن فإنَّ بعض المساجد قد أسسها الظاعنون في هذه الأماكن، وشاركهم في هذا بعض المارة الدائمين على مناطق الظعن، وبالذات في منطقة "بربورة" مأواهم الأساسي في رحلات الظعن الصيفية المؤقتة، وأحيانًا كانت هذا المساجد يستفاد منها في التعزية على أهل البيت (ع) والقراءة الحسينية، وقصائد اللطم والشعر الرثائي.

٢- **نسخ الكتب في المظاعن**.

ونقل لنا السابقون على زماننا أخبارهم بأنَّ بعض أهالي النويدرات في أماكن ظعنهم كان يقوم بأعمال ثقافية كالقراءة الحسينية، وتعليم القرآن والفخري كما كان في سيحات قرية سند وبربورة، وأيضًا كانت عند بعضهم فرصة القيام بنسخ بعض الكتب والرسائل والقصائد في اللطم والرثاء في مظعنهم المؤقت كما فعل المرحوم الملا والحاج حبيب بن يوسف بن الحاج أحمد بن الشيخ يوسف بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله، فقد ذكر بعض أحفاده أنه عن آبائه أنَّ جدهم الملا الحاج حبيب بن يوسف جعل له في الأرض الواقعة بين نويدرات وبربورة (مكانًا) لإنجاز عملية

نسخ بعض الكتب والرسائل، وقيل أنه كان (عريشًا خاصًا) في شرق بربورة لإنجاز ما كان ينسخه من رسائل وكتب في أجواء الهواء الطلق ونسيمها اللطيف.

كما كان المرحوم الحاج أحمد بن معراج (معاصر للملا الحاج حبيب بن يوسف) يظعن إلى نصيرية، ونايل شمال النويدرات، والجبلة من منطقة بربورة قريبًا من سند، وينسخ مخطوطات حسينية وكتب تاريخ أهل البيت آنذاك في "مظعنه المؤقت" في السيحات الثلاثة المذكورة كما كان يفعل في بيته الدائم بالنويدرات، وتفيد هذه الإشارة بأن بعض المهتمين بنسخ الكتب لم يتوقفوا عن نسخها في أماكن مظاعنهم، وبقي أحد نشاطاتهم الثقافية، ولا يستبعد أن باقي الناسخين أو جماعة منهم فعلوا ذلك، ولم تتوفر لنا معلومات بشأنهم.

٣- مجالس القراءة الحسينية والعزاء في مصائب أهل البيت (ع).

هذا ما قاله بعض السابقين علينا، وهو سلوك ملحوظ في تاريخهم الروحي والديني، وأدركه بعض المعاصرين منَّا، إذ كان أجدادنا وأسلافنا من أهالي النويدرات وغيرهم يقيمون مجالس القراءة الحسينية، ومآتم العزاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام في كل مناسبة دينية تمر عليهم وهم في أماكن الظعن المؤقت، وهناك أكثر من شاهد تاريخي وردنا عن طريق آبائنا السابقين علينا، ونذكر من هذه المشاهد التاريخية ما وردنا من أقوال آبائنا وأجدادنا الماضين مثْل:

المشهد الأول:

إقامة العزاء في مأتم بربورة.

كان أولاد عيسى كما يعبر الوالد دائمًا (ره) من السكان الأصليين في بربورة، ويقصد (ره) أبناء عيسى بن محمد البربوري أصحاب المأتم الحاليين، وكانوا يقيمون مأتمهم في هذه البلدة التاريخية، بعد نزوح السادة العلويين من بلدتهم بربورة لمناطق في خارج البحرين، وتسليمهم إدارة المأتم لعائلة البربوري المعروفة الآن، ويذكر الوالد أنَّ مأتمهم في بربورة كان (لصيقًا) ببيوتهم هناك، أي جزء من بيوتهم، وشهد الوالد هذا المشهد التاريخي بنفسه، فالمأتم مخصوص كمكان روحي لإقامة المجالس الحسينية (قراءة، ورثاء ولطميات، وطبخ، وتغذية)، وظل حاله حتى رحلوا من بلدتهم، واستقروا في النويدرات قبل قرن من الزمان أو أقل بسنوات.

المشهد الثاني:

آل معراج ومأتمهم في نايل وبربورة.

وحدثني الوالد الحاج يعقوب بن يوسف بن عبد الله بن مدن رحمهم الله عن إقامة مواسم عزاء كاملة بفترات محددة، وعلى مدار سنوات، وكان الملالي والخطباء يستقرون مع الظاعنين في مكان إقامتهم، ومنهم على سبيل المثال مجيء المرحومين الملا والخطيب المشهور، والشاعر الحسيني البحراني المعروف الحاج عطية الجمري مع ابنه الحاج والملا يوسف للقراءة الحسينية في مناطق السيحات الزراعية بمنطقة بربورة مثل نايل، والجبلة وغيرها من السيحات الزراعية القريبة، ويبقيان معهم حتى انتهاء فترة الموسم بحدود اسبوعين، وتظهر في هذا الموسم حالة من التعاون الوجداني والحركي بين أهل الظعن، حيث يتم ضبط مسئوليات العمل في مجالس القراءة والرثاء الحسيني، توزيع الأدوار بين الأفراد من اختيار الخطيب، والاتصال به، وتحمل تكاليف الإقامة، ونفقات المجلس الحسيني، وتوفير التغذية على أشخاص عشرة أو أكثر بعدد أيام الموسم، أو توزع المهام على أكثر من عشرة أفراد ممن تبرعوا بدفع وتحمل هذه التكاليف طواعية

وضيافة المستمعين، كما كانت تناط بالمشاركين في الموسم العاشورائي مسئوليات إدارة العمل من قبل جماعة الظاعنين بروح مشتركة بينهم، كلٌ بقدر ما يستطيع من مشاركة عملية.

والمشهد الثالث:

مآتم آل مرهون في مظاعنهم.

شكل آخر من مجالس العزاء على آل البيت أنه اهتمت عائلة آل مرهون بمجالس القراءة الحسينية، واللطميات والرثاء، وأكَّد هذا تقرير ورد للأستاذ أحمد عبد الله سرحان، حيث وردت فيه إشارة لهذه المشاركة الوجدانية في مجالس العزاء على أهل البيت (ع)، وأفراحهم من عائلة آل مرهون وسائر مؤمني أهالي النويدرات وغيرهم، يقول مقطع من التقرير المذكور: "**حافظت هذه العائلة على استمرارية إقامة العزاء الحسيني حتى في أوقات رحيلها إلى المصيف وظعنها إلى ربوع قرية سند مجاورة لنخيل (البدايع[1]) حيث تقام القراءة الحسينية في المعتم ليلًا ونهارًا في دكان صناعة المديد، وكان المستمعون والمعزون يأتون مشيًا على الأقدام من بربورة والنويدرات إلى سند للمشاركة في مجالس العزاء على أهل البيت عليهم السلام**".

المشهد الرابع:

قراءات لمجالس حسينية بالبراحات في الليل.

وإقامة هذه المجالس في القراءة الحسينية مرتبطة في حياة الظاعنين إما بوجود مناسبة دينية (تحاريم) كوفاة أحد الأئمة المعصومين (ع) أو قراءة في عادة حسينية، وهي قراءة حسينية تعقد في

[1] يعرف من هذه البدائع اسم إحداها منذ طفولته، وهي (بديعة الشيخ حسن) التي كانت تقع في شمال بربورة وجنوب سند، وهي قرية من مسجد البداري الآن في الجنوب الشرقي من مأتم الحاج علي الملا رحمه الله سبحانه في الجنوب الشرقي من قرية سند.

ليلة مخصوصة من الأسبوع، أو يقوم الأهالي بعقد مجلس قراءة حسينية بتكليف أحد المتبرعين وتحمله مصروفاته وتكاليفه على حسابه الخاص، وكانت تقام هذه المجالس في الهواء الطلق بالبراحات، وفي واجهات البيوت في المظاعن.

المشهد الخامس:

(عزاء بربورة – النويدرات) في أيام المقيظ.

استمعنا في ليلة من ليالي إحدى اللقاءات الثقافية والدينية (مولد الإمام الصادق) بمسجده عليه السلام في"بربورة" القديمة لكلام الفاضل الحاج حسن بن الحاج علي بن عبد الله (بترقيق اللام)، فذكر فيه أنَّ من فعاليات أهالي قريتنا (النويدرات) قيامهم بمسيرة العزاء على استشهاد الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وصحبه بداية الستينات من القرن العشرين، وبالتحديد في ثمانينات القرن الرابع عشر الهجري، وقد وصفها الحاج حسن بـ"حلقة عزاء طويلة" من رجالات النويدرات البالغين، وتأتي من "مظعن آل مدن في بَرْبورة"، إلى النويدرات في موسم محرَّم، ولا يسمح فيها بدخول الصغار رغبة منهم في السيطرة عليها، وضبط مسيرتها وتنظيمها في المشي والحركة، وكانت حلقة العزاء كما قال (ليلاً)، وتمر بعد وصولها للنويدرات على كل مآتمها، وتدار بقيادة الحاج علي بن جاسم بن مدن، (وكان عضوًا في لجنة العزاء آنذاك).

ومن رواديد العزاء كما ذكر معلم القرآن وقارئ الفخري المرحوم الحَاج (علي بن عبد الله إسماعيل) طيب الله ثراه والمؤمنين جميعًا رجالهم ونساءهم، وبقيت حلقة العزاء نشاطًا دينيًا مشتركًا للأهالي كان يتكرر سنويًا حتى بدأت تتغير الأمور شيئًا فشيئًا، عندما ضعفت عادة الظعن إلى بربورة، وبدأ الناس في البقاء صيفًا ببيوتهم ما بعد دخول الدخول منازلهم، واستمرت مواكب العزاء ومسيراته فيما بعد بالنويدرات المحروسة.

مصادر البحث.

١- القرآن الكريم.

٢- مختار الصحاح للرازي.

٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري.

٤- القاموس المحيط لمجموعة لغويين.

٥- معجم لسان العرب لابن منظور.

٦- معجم الرائد لجبران مسعود.

٧- أنوار البدرين للشيخ علي بن حسن البلادي البحراني.

٨- قرية النويدرات بين الماضي والحاضر، جمع من المؤلفين.

٩- حاضر البحرين للشيخ إبراهيم المبارك.

١٠- عقد اللآل في تاريخ أوال للشيخ محمد علي التاجر.

١١- الحرف والصناعات الشعبية في البحرين، وزارة الإعلام - البحرين.